كَيْفَ تَكُونُ

طَالِبَ عِلْمٍ

=

إعدَادُ

عَبْدِاللَّهِ بْنِ مُحْسِنِ المُطَيْرِي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد: فإن العلم أمانة عظيمة، ومسؤولية جليلة كريمة، تُبلّغ بها رسالة الله، وتقام بها الحجة على عباد الله، فكم هدى الله عز وجل بالعلم من الضلالات، وكم أخرج به من الظلمات.

امتن الله على نبيه ﷺ بالعلم وشرّفه وكرّمه به، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ النساء (١١٣).

ولم يأمر نبيه أن يطلب الاستزادة من شيء إلا من العلم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ طه (١١٤).

ورفع الله قدر أهل العلم في الدنيا والأخرة. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ المجادلة: (١١)

وخصهم بالخشية، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ فاطر:(٢٨).

وأشهدهم الله على أعظم مشهود، وهو توحيده عز وجل، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ آل عمران: (١٨).

وهو من أعظم الجهاد في سبيل الله عز وجل، إذ أن من الجهاد: الجهاد بالحجة والبيان، وهو جهاد الأئمة والعلماء ورثة الأنبياء: **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ الفرقان (٥١. ٥٢).

يقول ابن القيم رحمه الله: فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادَيْن، وهو جهاد المنافقين أيضاً، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ التوبة (٧٣).

ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن، والمقصود أن سبيل الله هو الجهاد وطلب العلم ودعوة الخلق به إلى الله. أ.هـ. مفتاح دار السعادة (١/٧٠).

بل إن الإنسان ينتفع بعلمه حتى بعد موته كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثةٍ إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له". أخرجه مسلم في صحيحه (٣/١٢٥٥)

ويكفي طلاب العلم فخراً وشرفاً أنهم ورثة الأنبياء، وإن الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

والعلم طريق إلى الجنة، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة". أخرجه الترمذي(٥/٢٨) وقال حديث حسن وصححه الألباني.

والأدلة في فضل العلم وأهله كثيرة جداً، لا يمكن حصرها في مثل هذا المقام. ثم إن الحاجة إلى طلب العلم الشرعي الذي يحمي الله به الأمة من فتن الشهوات، والشبهات، ويثبتها في زمن الشدائد والملمات ماسة جداً، فبه يُحفظ الدين، ويُذاد عن الملة، وتُنصر الأمة على عدوها، فنشره في هذه الأوقات من أعظم القربات، وأجل الطاعات، ومن أعظم أسباب النصر والتمكين في الأرض. والمقصود به العلم الشرعي علم الكتاب والسنة الذي تصح به العبادات، وتقبل به الطاعات. وإذا وفق العبد لتعلم هذا العلم ودراسته، وتوجه القلب لمعرفته فلا بد أن يعرف أبواب الدخول إليه، ودروب الوصول لساحته، ولابد أن يستنير بخبرة من سبقه، وعلم من فاقة وتقدمه، وأن يضع له منهجاً يسير عليه، وهدفاً يصل إليه، فإن السائر بلا منهج، ولا هدف تمضي به السنون والأيام وهو ثابت لم يتحرك.

وقبل الدخول إلى المنهج السليم لطلب العلم الشرعي، ثمة صفات كريمة حريّ بطالب العلم أن يتحلى بها، وينافس عليها:

الصفة الأولى: تطهير القلب من كل غش ودنس، وغل وحسد ،وسوء عقيدة وخلق. مثل: الكبر والعجب والرياء، ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه، والاطلاع على دقائق معانيه وحقائق غوامضه، فإن العلم كما قال بعضهم: صلاة السر، وعبادة القلب، وقربه الباطن. وإذا طُيّب القلب للعلم ظهرت بركته، ونما كالأرض إذا طُيّبت للزرع نما زرعها، وزكا. قال سهل بن عبدالله رحمه الله: حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكره الله عز وجل.

الصفة الثانية: الإخلاص لله، وحسن المقصد، بأن يقصد طالب العلم وجه الله تعالى، والعمل بعلمه، وإحياء الشريعة، وتنوير قلبه، وتحلية باطنه، والقرب من الله تعالى يوم القيامة، والتعرض لما أعد الله لأهله من رضوانه، وعظيم فضله.

والإخلاص عزيز على النفس، لأنه ليس لها فيه نصيب. يقول سفيان الثوري رحمه الله: ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي، إنها تتقلب علي.

وكان أبو هريرة ﷺ إذا حدّث بحديث الثلاثة الذين أول من يقضى عليهم يوم القيامة يغشى عليه، ومنهم العالم الذي أراد بعلمه ثناء الناس ومدحهم. أخرجه مسلم (١٥١٣/٢)

وأول ما يطلب الإنسان العلم ربما يأتيه الزهو، والغرور، وحب المناظرة، والمناقشة والظهور على الأقران، وحظوظ الدنيا. لكن إذا أراد الله بالعبد خيراً في بداية الطلب رق قلبه لخشيته، وبدأت تظهر أمارات الإخلاص على عمله، وحركاته وسكناته، ويكون أشد ما يكون حرصاً على إخفاء عمله. قال بعض السلف: وددت أن عبادتي بيني وبين الله لا تراها عين.

ومما يعينك على الإخلاص إدامة النظر في الحديثين التاليين:

١- ما رواه كعب بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ: "من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، و يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار". رواه الترمذي (٣٢/٥) وقال هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وحسنه الألباني.

٢- ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: "من تعلم علماً مما يُبتغي به وجهُ الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة". أخرجه أبو داود (٣/٣٢٣) وصححه الألباني.

الصفة الثالثة: حفظ الوقت واغتنامه، ومبادرة الشباب وساعات العمر في التحصيل، وألاّ يغتر بخدع التسويف . فطالب العلم أعز شيء عنده الوقت، لا ينبغي أن يضيع منه شيء في غير فائدة، فيستغل وقته بحفظ، أو مطالعة، أو مذاكرة، أو تعليم.

قال الإمام مالك: ما دخلت على جعفر إلا وجدته على أحدى ثلاث خلال: إما قائماً يصلي، أو جالساً يقرأ القرآن، أو جالساً يذكر الله. حتى كان بعض العلماء يقول: نعم والله الحال.

وقال أبو الوفاء بن عقيل الحنبلي رحمة الله: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى أذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حالة راحتي وأنا مستطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما اسطره .

ومن العلماء المعاصرين: الإمام ابن باز، وابن عثيمين، والألباني، وابن جبرين، فلو قرأنا في سيرهم لعلمنا كيف وصلوا إلى ما وصلوا إليه من العلم والإمامة بحفظ أوقاتهم .

الصفة الرابعة: الصبر، وتحمل المشقة في الطلب، لأن العلم رسالة عظيمة، وقد تكون ثقيلة على النفوس، خاصة في بداية الطلب، فيحتاج طالب العلم إلى التسلح بسلاح الصبر، والجهاد والتضحية. قال بعض العلماء: إن جبريل غط النبي ﷺ في بداية الوحي ثلاث مرات، وكان بالإمكان في أول مرة أن يقول له: أقرأ باسم ربك الذي خلق، قالوا حتى يعرف طالب العلم أن العلم لا ينال إلا بالتعب والنصب. يقول أبو حاتم رحمه الله : مضت علينا إيام لم نطعم فيها مرقاً. لكثرة الدروس وحضور مجالس العلماء، واجتهادهم في التحصيل، لا يجدون وقتاً لطبخ اللحم وشرب مرقته .

فيا أخي طالب العلم أصبر وأحتسب بطلبك للعلم، وأشكر نعمة الله أن وفقك لأشرف مطلوب.

الصفة الخامسة: أن يأخذ طالب العلم نفسه بالوَرَع في جميع شأنه، فيتحرى الحلال في طعامه، وشرابه، ولباسه، ومسكنه، وفي جميع ما يحتاج إليه، هو وعياله، ويقتدي بنبينا مُحَمَّد ﷺ حيث لم يأكل التمرة التي وجدها في الطريق، خشية أن تكون من الصدقة. والورع كما عرفه شيخ الاسلام: هو ترك ما يخشي ضرره في الأخرة .

الصفة السادسة: ملازمة خشية الله تعالى ومراقبته، فينبغي لطالب العلم أن يتحلّى بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى، محافظاً على شعائر الإسلام، وإظهار السنة ونشرها، والعمل بها، والدعوة إليها. وأن يتحلّى بمراقبة الله في جميع أموره وأحواله.

الصفة السابعة: التخفيف من الطعام، والنوم، فإن أعظم الأسباب المعينة على الاشتغال والفهم وعدم الملل: أكل القدر اليسير من الحلال، والتقليل من الطعام. قال الشافعي رحمه الله: ما شبعت منذ ستة عشرة سنة. وسبب ذلك أن كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب، وكثرته جالبة للنوم والبلادة، وقصور الذهن، وفتور الحواس، وكسل الجسم. هذا مع ما فيه من الكراهية الشرعية، والتعرض لخطر الأسقام البدنية، كما قيل : فإن الداء أكثرُ ما تراه يكون من الطعام والشراب. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ (13). قال بعض العلماء: جمع الله بهذه الكلمات الطب كله.

وفي حكمة لقمان: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وأن يقلل من نومه ما لم يلحق ضرر في بدنه وذهنه، بأن لا يزيد عن ثمان ساعات ثلث الزمان، ولا بأس أن يريح نفسه وقلبه بنزهة، وأن يكافئ نفسه براحة واستجمام، ولا بأس برياضة البدن.

الصفة الثامنة: اختيار الرفقة الصالحة. كان السلف يعرفون أثر الرفقة الصالحة في طلب العلم من الإعانة على الخير، ولذلك قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾ طه (92).

الصفة التاسعة: الأدب وحسن الخلق. ينبغي لطالب العلم أن يوطن نفسه على مكارم الاخلاق، فمن الأخلاق الفاضلة الحلم، والأناة، والتواضع، وسلامة الصدر، وحفظ اللسان عن الغيبة والنميمة، وأن يكون سهلاً ميسراً بعيداً عن الكبرياء، وبعيداً عن العجب. قال بعض السلف : والله ما دخلت مجلساً أرى نفسي أصغر الناس، إلا خرجت وأنا أعلاهم، ولا دخلت مجلساً أرى نفسي أعلاهم، إلا خرجت وقد وضعني الله أدناهم .

الصفة العاشرة: أخذ العلم عن أهله، فيبحث طالب العلم عن العالم العامل بعلمه، الذي يذكرك بالله مظهره ومخبره. قال الشافعي رحمه الله : رضيت بمالك حجة بيني وبين الله.
يعني إذا سألني الله يوم القيامة عمن أخذت العلم، قلت: عن مالك. وقال مُحَمَّد بن سيرين رحمه الله: يا أيها الناس إن هذا العلم دِين فانظروا عمن تأخذون دِينكم.

الصفة الحادية عشر: الاهتداء بالكتاب والسنة، فمن اهتدى بالكتاب والسنة سار على الصراط المستقيم، وعصمه الله من الفتن، وحفظه من المحن، وجعل في قلبه طمأنينة، وفي صدره انشراحا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ (351).

الصفة الثانية عشر: العمل بالعلم، والدعوة إليه. وهو أن يُترجم طالب العلم ما علمه بعمله، فإذا علم سنة تمسك بها، كما قال علي ﷺ: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل.
ولذلك جاء في الحكمة: اعمل بالحديث مرة تكن من أهله. فمن عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم.
فيحافظ طالب العلم على السنن، كالسنن الرواتب، وقيام الليل، وأذكار الصباح والمساء، والنوم، والدخول والخروج ونحوها فضلاً عن المحافظة على الفرائض . ثم لا يغفل عن نشر الخير ودعوة للمسلمين، فإن زكاة العلم نشره وتعليم الاخرين .

الصفة الثالثة عشر: الإعراض عن مجالس اللغو، وعن المراء والجدال الذي لا فائدة منه فيبتعد طالب العلم عن مجالس اللغو التي تضر ولا تنفع، ويرفع نفسه عن الجدال والمراء، فإن ذلك مما يذهب بركة العلم، ولذة العبادة، ويكون سبباً في الانتكاسة عن طريق الحق، ولذلك في الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ". أخرجه أبوداود (٢٥٣/٤) وحسنه الألباني.

وقال معروف الكرخي رحمه الله: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً فتح له باب العمل، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد بعبدٍ شراً فتح عليه باب الجدل وأغلق عنه باب العمل.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظّمَوه في النفوس لعظّما

كيف يُطلب العلم

أخي طالب العلم اعلم أن لنيل العلم وتحصيله ضوابط وضعها العلماء لتسهيله على من رام الوصول إليه ومن هذه الضوابط ما يلي:

١. أخذ العلم فناً فناً، والتدرج في الطلب، فقد قيل: من رام العلم جملة، ذهب عنه جملة. وقيل أيضاً: ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم.
فإن أفضل شيء أخذ الفن الواحد وإتقانه، ثم يأخذ غيره، ويستثنى من ذلك إذا لم يتيسر له، كأن لا يوجد في بلده علماء، أو يحضر دورات علمية ونحوها، أو كان عند الطالب ملكة قوية، بحيث يجمع أكثر من فن، ثم أيضاً يتدرج في كل فن كما سيأتي في المنهج في طلب العلم.

٢. اختيار الشيخ المناسب، والمواظبة على حضور الدروس، وهذا فيه أربعة فوائد:
أ ـ اختصار الطريق في طلب العلم.
ب ـ السرعة في الإدراك و معرفة مصطلحات العلماء.
ج ـ الربط بين طلاب العلم والعلماء.
د ـ السلامة من الخطأ والزلل الناتج عن طلب العلم من الكتب فقط.

٣. احضار الكتاب في كل درس وكتابة ما يلقيه الشيخ ومعرفة فن الكتابة وعدم الاعتماد على الذاكرة.

العلم صيد والكتابة قيده قيّد صيودك بالحبال الواثقة
فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة

٤. مذاكرة الطالب للدروس الماضية، والتحضير للدروس والمستقبلية.

٥. مذاكرة العلم ومراجعته، وهذا إنما يكون مع طالب علمٍ جاد حريص، فيحصل بعد انتهاء الدرس، أو في أي وقت مناسب يتذاكران فيما القي في الدرس من فوائد، وأحكام، فبهذه الطريقة يثبت

العلم. قال بعض السلف: كنا نسمع الحديث من جابر ﷺ فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا، فإذا أبو الزبير احفظنا.

٦. البعد في بداية الطلب عن المسائل الخلافية، والتركيز على مذهب معين، خاصة فيما يتعلق بالفقه حتى لا تتشعب به الاقوال، فيصعب عليه الحفظ، ويتكاسل عن الطلب. فيركز على مذهب واحد ويتعلم قواعده، وضوابطه، ثم ينتقل بعد ذلك إلى بقية المذاهب الأخرى، ويقارن ويوازن ويكون متبعاً للدليل.

٧. عدم الاستعجال في النزول للساحة والتصدر، ولذلك كان العلماء يُعنون بإطالة الزمن في الطلب، وفي أبيات الشافعي ما يؤيد هذا الشرط:

أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

ولذلك في الحكمة: حب الظهور، قصم الظهور.

فهذا الإمام عبد الله بن وهب من أصحاب مالك تفقه على مالك خمسة وعشرين سنة ـ أي ربع قرن ـ و انظر في سير علمائنا المعاصرين، كم كانت عدد سنوات الطلب التي أمضوها قبل أن يبرزوا للتعليم والفتيا.

ولطول الزمن في الطلب مزايا:

أ ـ يخرج طالب العلم بمادة مكتملة، وتصور واضح.

ب ـ يتربى طالب العلم على الصبر، وتحمل المشاق والمتاعب، وهي أدعى للإخلاص والضبط.

وعلى طالب العلم ألا يغفل عن الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالحكمة والرفق بما يعلم من علم، فإن هذا هو زكاة العلم، وبه ينمو وتحصل البركة.

٨. اختيار الأوقات المناسبة للحفظ والقراءة والمراجعة والاطلاع، فيكون طالب العلم مهتماً بترتيب أوقاته حسب ما يناسبه. قال ابن جماعة رحمه الله: وأجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث

الأبكار، وللكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل. وقال الخطيب البغدادي رحمه الله: أجود أوقات الحفظ الأسحار، ثم وسط النهار، ثم الغداة. وأما المكان فقال: وأجود أماكن الحفظ الغرف، وكل موضع بعيد عن الملهيات. وقال أيضاً: وليس بمحمود الحفظ بحضرة النبات والخضرة والأنهار، وقوارع الطريق، وضجيج الأصوات، لأنها تمنع من خلو القلب غالباً.

٩. حفظ المتون، فمن لم يتقن الأصول حرم الوصول، فقد كان السلف يحرصون على حفظ المتون حرصاً شديداً على حسب العلم الذي يريدون، فمن أراد أن يتخصص في علم بحث عن متن يحفظه ويضبطه.

ولا يمكن أن يكون الإنسان إماماً حتى يحفظ، إذ لا يمكن أن يسيطر عقل الإنسان على المعلومات مهما بلغ ذكاؤه.

و احذر يا طالب العلم أن تغش نفسك، فتظن أنك سيطرت على المعلومات بكثرة القراءة والكتابة، بل العلم هو الحفظ ، لهذا قال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: إن هناك من يقول إن العلم هو الفهم والبحث وليس هو الحفظ، قال الشيخ :وهذا الكلام ليس بصحيح ونحن الآن بلغنا ما بلغنا، وما معنا إلا ما حفظنا، زاد المستقنع، وبلوغ المرام، وأخذ يذكر المتون التي حفظها، ولهذا تجد الفتاوى عند مشائخنا منضبطة، لانهم سلكوا سبيل الصواب في طلب العلم، وهو الحفظ .

قال النووي رحمه الله : وبعد حفظ القرآن يحفظ من كل فن مختصراً، ويبدأ بالأهم، ومن أهمها الفقه، والنحو، ثم الحديث، والأصول، ثم الباقي على ما تيسر .

ويقول السعدي رحمه الله: وينبغي أن يسلك أقرب طريق يوصل إلى المقصود الذي يطلبه، وأن ينتقي من مصنفات الفن الذي يشتغل فيه أحسنها، وأوضحها، وأكثرها فائدة، ويجعل جلّ همّه واشتغاله بذلك الكتاب حفظاً عند الإمكان، أو دراسة تكرير، بحيث تصير معانيه معقولة، وفي ذهنه محفوظه، ثم لا يزال يُكرر ما مر عليه ويعيده.

وإذا أردت أن تبدأ بحفظ المتون، فإليك هذه النصائح:

أ. الاستشارة في حفظ المتن، وهذه تكون لأهل العلم الراسخين إن تيسر ذلك، وإلا من تثق به من طلاب العلم.

ب ـ لا تحفظ حتى تضبط قراءة المتن، حتى لا تقع في اللحن والتصحيف .

ج ـ لا يكن همك الحفظ فقط، بل ركز على الضبط .

د. إياك وتزاحم المتون عليك –وأعني بذلك الحفظ– أي: لا تنتقل إلى متن حتى تحفظ الذي قبله. أما بالنسبة لحضور الدروس والقراءة، فبإمكانك أن تحضر أكثر من درس على حسب استطاعتك.

هـ ـ لابد من المراجعة، وإياك أن تحفظ المتن ثم تتركه .

و ـ لا تحتقر ذاكرتك، فتضعف عن الحفظ فإن الذاكرة تقوى وتتمرن بكثرة الحفظ والمراجعة والمطالعة، لكن يحتاج ذلك إلى بذل الجهد والاستمرار .

ز ـ الإكثار من حفظ المتون، خاصة في زمن الشباب للمبتدئ .

ح ـ لتكن بدايتك أن تحفظ في كل فن متناً.

ط ـ احرص على اقتناء كثير من شروح المتون التي حفظتها بقدر استطاعتك .

المنهجية في طلب العلم

اعلم –رحمك الله– أن تحصيل التأصيل العلمي يكون بدراسة علمين، على ما يلي:

أ. علم الغاية والمقصد.

ب ـ علم الآلة والوسيلة.

العلم الأول: علم الغاية والمقصد، وفيه أربعة علوم:

أولاً: علم العقيدة والتوحيد، وفيه كتب من خلال مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى:

أ. معرفة فقه حقيقة الدين وأساس الملة، و معرفة توحيد العبادة والطلب والقصد، وهو مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، وعمدة هذه المرحلة كتابان للإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ:

الأول: كتاب الأصول الثلاثة: وقد ذكر فيه توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، والولاء والبراء، وقال رحمه الله: هذه الأصول الثلاثة هي حقيقة التوحيد. وله شروح كثيرة منها شرح العلامة مُحَمَّد بن صالح العثيمين، وحاشية العلامة عبدالرحمن بن قاسم رحمهم الله تعالى.

الثاني : كتاب التوحيد: وقد عقد فيه الإمام ستةً وستين باباً، موضوعها في بيان ما بعث الله به رسله من توحيد العبادة، وبيان الأدلة من الكتاب والسنة، وذكر ما ينافيه من الشرك الأكبر، وما ينافي كماله من الشرك الاصغر ونحوه، وما يقرب من ذلك، أو يوصل إليه، واستنبط من الأدلة مسائل وفوائد نفيسة.

وله شروح كثيرة منها:

١. فتح المجيد: للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٢. تيسير العزيز الحميد: للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ.

٣. القول المفيد: للشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين.

٤. إعانة المستفيد: للشيخ صالح الفوزان.

٥. التمهيد لشرح كتاب التوحيد: للشيخ صالح آل الشيخ.

ويزيد بعضهم ثلاثة كتب في هذه المرحلة وجمعيها للإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب رحمه الله.

أولها: كتاب القواعد الأربعة: ويتضمن أربعة قواعد مختصرة، بمعرفتها يتخلص المرء من شبكة الشرك.

ثانيها: كتاب كشف الشبهات: ضمنه بجوابين عن شبهات احتج بها مشركو زمانه جواباً مجملاً وآخر مفصلاً وله شرح للشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين وشرح للشيخ صالح الفوزان.

ثالثها: مسائل الجاهلية: جمع فيها ما يربو على مائة مسألة خالف فيها الرسول صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية، مع كونها منتشرة في زمان الإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب رحمه الله.

المرحلة الثانية:

مرحلة فقه أصول معتقد أهل السنة والجماعة، والتي خالفهم فيها أصحاب البدعة والهوى .

وعمدة هذه المرحلة أربعة كتب:

١. كتاب العقيدة الواسطية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقد اشتملت على عقيدة أهل السنة والجماعة في الله –عز وجل– واسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وعلى مسائل الإمامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعقيدة أهل السنة في الصحابة، ولها بعض الشروحات مثل: التنبيهات اللطيفة للشيخ عبدالرحمن السعدي بتعليق الإمام ابن باز، وشرح للشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين.

٢. كتاب الفتوى الحموية: لشيخ الإسلام ابن تيمية وهي جواب لسؤال ورد عليه من حماة بلد في الشام يُسأل فيه عن آيات الصفات وأحاديثها فأجاب عن ذلك وبين عقيدة السلف الصالح في الأسماء والصفات وبين بطلان عقيدة أهل البدع من المعطلة والممثلة ونحوهم.

ومن شروحها: الدرة العثيمينية بشرح فتح رب البريه بتلخيص الحموية للشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين.

٣. كتاب الرسالة التدمرية: لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا الكتاب في تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، ومن شروحها: تقريب التدمرية للشيخ مُحَمَّد ابن صالح العثيمين .

٤. كتاب لمعة الاعتقاد: لابن قدامة المقدسي، وقد اشتمل هذا الكتاب على عقيدة السلف الصالح في الأسماء والصفات، والترغيب في السنة، والتحذير من البدعة، والإيمان بالقضاء والقدر، وأمور الآخرة، وحقوق النبي ﷺ وأصحابه، والخلافة، وطاعة ولاة الأمر، ومن شروحها: شرح للشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين ، وشرح للشيخ عبدالرحمن المحمود.

المرحلة الثالثة:

مرحلة دراسة مفردات المعتقد مع شيء من التوسع، حيث يُقرر في كل مسألة الحق بدليله، ويُعرف المخُالف مع تفنيد قوله في الجملة.

وعمدة هذه المرحلة: متن الطحاوية للإمام أحمد بن مُحَمَّد الطحاوي، وقد اشتمل هذا الكتاب على انواع التوحيد الثلاثة، وعقيدة أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، والرد على أهل البدع، والإيمان بالقضاء والقدر، والرد على المخالفين في ذلك، ومسمى الإيمان، وأمور الآخرة، وحقوق الصحابة، والخلافة ،وعليها: شرح ابن أبي العز الحنفي.

ثانيا: علم الفقه، وهو على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:

قبل أن يدرس طالب العلم الفقه لا بد أن يختار أحد المذاهب الأربعة، ويبدأ بالمتون المختصرة في هذا المذهب، وتكون دراسة مجمل أبواب الفقه ومسائله على وجه الإيجاز والاختصار، بحيث يقتصر على أمورٍ ثلاثة غالباً:

أ ـ حفظ المتن في المذهب.

ب ـ تصوّر المسائل في المذهب.

ج ـ حكم كل مسألة، ومعرفة القول الراجح فيها.

ويُمثّل لهذه المرحلة في المذهب الحنبلي بدراسة:

١-كتاب عمدة الفقه للموفق ابن قدامة: وهو كتاب مختصر في الفقه جرى فيه على قول واحد مما اختاره، وهو سهل العبارة يصلح للمبتدئين وله بعض الشروح: العدة شرح العمدة لبهاء الدين المقدسي، وكذلك شرح شيخ الإسلام ولم يكمله، وكذلك حاشية على عمدة الفقه للشيخ عبدالله للبسام.

٢- كتاب التسهيل للإمام مُحَمَّد البعلي: وهو كتاب سهل العبارة يصلح للمبتدئين وله شرح: فقه الدليل للشيخ عبدالله بن صالح الفوزان.

المرحلة الثانية:

دراسة جميع أبواب الفقه ومسائله، لكن على وجه التوسط، ويمثل لهذه المرحلة:

١-كتاب زاد المستقنع لموسى بن أحمد الحجاوي وقد تكون عبارته فيها شيء من الصعوبة، وله شروح منها : الروض المربع لمنصور بن يونس البهوتي، وحاشية الشيخ عبدالرحمن بن قاسم على الروض، والسلسبيل في معرفة الدليل للشيخ صالح البليهي، والشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين.

٢-كتاب دليل الطالب لمرعى الكرمي، وله شروح منها: منار السبيل في شرح الدليل للشيخ إبراهيم الضويان.

فائدة:كتاب دليل الطالب لمرعي للكرمي مختصر من كتاب: منتهى الأرادات في الجمع بين التنقيح والمقنع وزيادات لمحمد بن أحمد النجار، وكتاب: التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع لعلي بن سليمان المرداوي مختصر من كتاب: الأنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي نفسه وكتاب: المقنع في فقه الإمام أحمد للموفق ابن قدامة المقدسي.

المرحلة الثالثة: دراسة جميع أبواب الفقه ومسائله على وجه بسطٍ وتوسعٍ في خلاف المذهب، ويُمثّل لهذه المرحلة بكتاب: الكافي في فقه الإمام أحمد للموفق ابن قدامة المقدسي. ثم الخلاف العالي ويُمثّل لهذا بكتاب: المغني للموفق ابن قدامة المقدسي.

ثالثاً: علم التفسير:

يبدأ الطالب في علم التفسير على النحو التالي:

١. بمعرفة غريب القرآن، ويُمثّل لذلك بكتاب السراج في بيان غريب القرآن للشيخ مُحَمَّد ابن عبدالعزيز الخضيري.

٢. معرفة المعنى الإجمالي للآيات، ويُمثّل لذلك بكتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للشيخ عبدالرحمن السعدي، وكتاب التفسير الميسر لنخبة من العلماء.

٣. ثم يقرأ في كتب التفسير بالمأثور ومنها: معالم التنزيل للإمام البغوي ،وتفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير ،ويحرص على المحقق منها.

٤. ثم في المطولات من التفاسير ككتاب: جامع البيان عن تأويل القرآن للإمام الطبري ونحوه، ويحذر من كتب أهل التأويل، وليحرص على قراءة كتاب: تفسير القرآن الكريم للشيخ مُحَمَّد ابن صالح العثيمين فإن فيه قواعد وضوابط وفوائد قد لا توجد عند غيره.

رابعاً: علم الحديث: ويُدرس عبر ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: دراسة جوامع كلم النبي -ﷺ-:

وفيه كتاب واحد وهو كتاب: الأربعين النووية للإمام النووي الشافعي، وهو مأخوذ من كتاب الأحاديث الكلية لابن الصلاح، وهي ستة وعشرين حديثاً، فأخذها النووي وزاد عليها تمام اثنتين وأربعين حديثاً، ومن أفضل شروحها: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، وكذلك: شرح للشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين.

المرحلة الثانية: دراسة مجمل أحاديث الأحكام وفيه كتابان:

أ. كتاب عمدة الأحكام لعبدالغني المقدسي، وهو يشتمل على ٤٣٠ حديثاً في الأحكام، وشرط على نفسه إلا يخرج فيهما إلا ما أتفق الشيخان على إخراجه، لكنه خالف شرطه في ستة وأربعين حديثاً، ويقرأ الطالب أحد الشروح المعتمدة له مثل: كتاب إحكام الأحكام لابن دقيق العيد، وكتاب تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للشيخ عبدالله البسام، وكتاب شرح الشيخ سعد الشثري.

ب. كتاب بلوغ المرام للحافظ ابن حجر الشافعي، جمع فيه أصول الأدلة الحديثية للأحكام الشرعية فبلغت ١٤٣٦ حديثاً، ثم زاد عليها ١٣٢ حديثاً من أحاديث الآداب والأخلاق، فصارت ١٥٦٨حديثاً.

وله شروح منها: كتاب توضيح الأحكام من بلوغ المرام للشيخ عبدالله البسام، وكذلك كتاب فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام للشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين، وكتاب منحة العلاّم في شرح بلوغ المرام للشيخ عبدالله الفوزان، وقد يزيد بعد ذلك في أحاديث الأحكام كتاب منتقى الأخبار لمجد الدين أبي البركات ابن تيمية، وعليه شرح نيل الأوطار للشوكاني.

المرحلة الثالثة: دراسة الكتب الستة، وهما: الصحيحان والسنن الأربعة.

١. كتاب صحيح البخاري وأبرز شروحه: فتح الباري لشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر.

٢. كتاب: صحيح مسلم، وعليه شرح النووي .

٣. كتاب: سنن الترمذي، وعليه شرح تحفة الأحوذي للمباركفوري .

٤. كتاب: سنن النسائي، وعليه حاشية السيوطي .

٥. كتاب: سنن أبي داود، وعليه شرح عون المعبود . لشرف الحق العظيم آبادي

٦. كتاب: سنن ابن ماجه، وعليه حاشية السندي .

ومما يدخل في فقه السنة النبوية: فقه سيرة الرسول -ﷺ- لأنها تتعلق بأوصافه، وأفعاله، وتقريراته، وكلها من السنة. ولدراسة سيرة النبي -ﷺ- يبدأ الطالب بمختصر، ويمثل لذلك بكتاب: مختصر سيرة الرسول -ﷺ- للإمام مُحَمَّد بن عبدالوهاب، وكتاب: الرحيق المختوم للمباركفوري، ثم كتاب: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم.

العلم الثاني: علم الآلة والوسيلة، وهي علوم أربعة:

أولا: علم أصول الفقه:

وقد أُلفت فيه: رسالة لطيفة في أصول الفقه للشيخ عبدالرحمن السعدي، ثم كتاب: الورقات للإمام الجويني وله شرح مفيد للشيخ عبدالله الفوزان، وكذلك شرح الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين لنظم الورقات، ثم يترقّى لكتاب: روضة الناظر وجُنة المناظر لابن قدامة المقدسي.

ثانياً: علم أصول التفسير وقواعده:

ويبدأ الطالب في هذا الفن بدراسة القواعد والضوابط التي تسهّل على الطالب معرفة التفسير، ككتاب: القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ عبدالرحمن السعدي وكتاب: مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية وله شرح للشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين ثم كتاب: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

ثالثا: علم مصطلح الحديث:

وأول ما يبدا الطالب بدراسة هذا العلم بالمختصرات، ويمثل له: بمنظومة البيقونية لعمر بن مُحَمَّد البيقوني ولها شروح منها: التقريرات السُّنَّية لحسن بن مُحَمَّد المشاط، وكتاب: شرح المنظومة البيقونية للشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين، وكتاب: تيسير مصطلح الحديث للشيخ محمود الطحان.

ثم كتاب: نخبة الفكر للحافظ ابن حجر وهو يغني عن غيره ولا يغني عنه غيره وله شروح منها: نزهة النظر للمؤلف نفسه. ثم كتاب: مختصر علوم الحديث لابن كثير.

رابعا: علوم العربية:

لا يمكن أن يكون الطالبُ طالبَ علم بحق حتى يتعلم اللسان العربي، ولهذا قال عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه-: تعلموا العربية، فإنها تزيد في المرؤة، وقال ابن الوردي: جمّل المنطق بالنحو، فمن يُحرم الإعراب بالنحو اختبل.

وأول ما يبدأ في هذا العلم بدراسة كبرى أبواب النحو، وفيه كتاب: متن الآجرومية للإمام ابن آجروم وله شروح منها: شرح الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين، ثم كتاب: ملحة الأعراب للحريري، ثم كتاب: قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، ثم ألفية ابن مالك ولها شروح منها: أوضح المسالك لابن هشام، وشرح ابن عقيل، ودليل السالك للشيخ عبدالله الفوزان.

أما بالنسبة للقراءة الحرة لطالب العلم:

فعليه أن يختار الكتب النافعة التي تغذي قلبه، وترفع همته، وتقوم لسانه، وتوسع مداركه، وتقربه من ربه جلّ وعلا، ومن ذلك كتب السيرة النبوية، وصور من حياة الصحابة والتابعين للدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا، وسير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، وليحرص على قراءة كتب الإمامين ابن تيمية وابن القيم، وليدون ما يمر عليه أثناء القراءة من فوائد ونفائس على طرة الكتاب، ويذكر رقم الصفحة التي فيها الفائدة، فإنه بهذه الطريقة يكون قد لخّص الكتاب، واستنبط فوائده لنفسه.

وفي الختام أسأل الله عز وجل أن يرزقني و إياكم العلم النافع، والعمل الصالح، والنية الخالصة، إنه خير مأمول، وأكرم مسؤول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه
عبدالله بن محسن الميموني المطيري
تويتر: @AboWaledMutairi
إيـميل: Abdllah301@gmail.com